واقع التربية والتعليم في الجزائر غداة الاحتلال الفرنسي

أ.د. أحمد عيساوي
جامعة باتنة - الجزائر

حرّف كثير من باحثي الاستعمار الفرنسي ومؤرخيه حقائق التاريخ، ولا سيما تلك التي لها صلة بمستوى الشعب الجزائري العلمي والثقافي والحضاري، بغية إضفاء طابع التحضر والتمدن على حملتهم الاستعمارية الغازية، ونفي طابع الغزو والتدمير والإبادة.. التي حملتها إلى الجزائر[1].

ولكن بعض المنصفين منهم يعترفون بأنّ مستوى التعليم والثقافة كان أعلى من كل توقع، حتى مما كان عليه قادة الحملة الفرنسية الغازية وجنودها، وفي هذا الصدد نسجل اعتراف النائب الفرنسي أوجين كومبس (Eugene Camps)، العضو في البرلمان، في خطبته الشهيرة بمجلس الشيوخ قوله:

لقد كان التعليم في الجزائر سنة ١٨٣٠م أقل تقهقرًا مما جعلته السلطة العامّة الفرنسية بعد الاحتلال، لقد كان هناك - في الجزائر - ما يزيد عن ألفي مدرسة ابتدائية وثانوية وعليا، وكان الأساتذة المتخصصون يعلمون التلاميذ، الذين يقبلون بغاية الاجتهاد على دروسهم، وكانت كذلك الدروس العامّة تنظم للناس في جميع المساجد للكبار والصغار، ومن بين تلك المدارس الألفين كان بالعاصمة وحدها ثمانون مدرسة متنوعة..»[2].

والشهادة التي سقناها لواحد من النواب الفرنسيين اعتراف صادق يكشف عن مستوى التربية والتعليم الذي كانت تتمتع به الجزائر قبيل الاحتلال الفرنسي، فقد كانت تمتلك نظامًا تعليميًّا وتربويًّا وإداريًّا دقيقًا ومتميزًا، أرسى دعائمه العلماء والفقهاء الجزائريون الأولون، أمثال: سحنون والونشريسي والمغيلي... واستمر عليه المتأخرون أمثال: الباجي، وابن عطية، وابن خلدون، وابن عاشر... ثم تمسك به العلماء المحدثون أمثال الونيسي، وابن زقوطة، وابن

الفكون، وابن الموهوب، وابن سماية، وغيرهم...[٣].

وبه جابهوا مشاريع المسخ والتشويه التخريبيّة الفرنسية منذ أن وطأت أقدامهم هذه البلاد.

ولعلّ في إلقائنا بعض الحقائق التاريخيّة على واقع الحركة العلميّة في الجزائر، قبيل الاحتلال الفرنسي ما يكشف لنا عن مكانة العلم والمعلم لدى الشعب الجزائري، كما يكشف لنا واقع الحركة العلميّة ومستواها فيها.

أوضاع الجزائر العلميّة قبيل الاحتلال:

إنّ التعليم الذي كان منتشرًا في الجزائر، قبيل الاحتلال، هو التعليم العربي الإسلامي التقليدي، الموروث عن علوم العصور الإسلاميّة الاجتهاديّة والتقليديّة معاً وتراثها ومعارفها، ويتركز موضوعه أساسًا على دراسة العلوم العربية واللغويّة والأدبيّة والعلوم الدينيّة، إضافة إلى بعض العلوم العقليّة كالمنطق والفلسفة والحساب والفلك والجغرافيا[٤].

وكانت الكتاتيب القرآنية والجوامع والمساجد والرباطات والزوايا والمدارس أماكن طلب العلم، التي بلغ عددها قبل دخول الاستعمار قرابة ألفي مدرسة، إضافة إلى اشتهار حواضر القطر الجزائري العلميّة الثلاث: (تلمسان. بجاية. قسنطينة) بكثرة طلابها وعلمائها ومكتباتها وكتبها[٥].

وقد بسط الأستاذ الدكتور أبو القاسم سعد الله، في موسوعته الشهيرة[٦]، بإسهاب واقع الجزائر التعليمي والثقافي، مشيرًا إلى عدد المدارس والزوايا والكتاتيب قبيل الاحتلال، وإلى تنوّعها وكثرتها وتأثيرها وتوزعها على كثير من المدن الجزائرية، مشيرًا إلى أهميّة الحواضر العلميّة الثلاث: (تلمسان. بجاية. قسنطينة) واختصاصها بالمدارس العلميّة العالية، التي كان الطلاب الجزائريون يتلقون فيها أشهر علوم زمانهم العربية والدينيّة. موازنًا مستوى المادة العلميّة المدرّسة في تلك الحواضر من حيث الكم والكيف بمستوى الجامعات الإسلامية الكبرى آنذاك (الأزهر. الزيتونة. القرويين)، إضافة إلى وجود مدرسة للتعليم في كل قرية أو بلدة أو تجمع سكاني صغير ريفي[٧].

مبينًا أنّ الجزائر قد شهدت نهضة ثقافيّة وفكريّة وعلميّة وأدبيّة، تمثلت في كثرة عدد العلماء والقضاة، الذين كانوا يُعدون بالمئات، وكذلك الشعراء والكتاب والمعلمون والأطباء وبائعو الأعشاب من الصيادلة، وعُرفت بكثرة عدد المساجد والجوامع والزوايا والكتاتيب، وكثرة عدد المصنفات العلميّة، ولا سيما في الحواضر العلميّة الشهيرة التي كانت تعدّ بالآلاف[٨].

وقد كان التعليم العربي الحر قديمًا يشمل مراتب أولى تعطى للصغار في الكتاتيب، ويُقبل عليها الناس إقبالاً شديدًا، فلا تجد حارة من حارات المدن، أو القرى، أو مضربًا من مضارب الخيام، أو أي دشرة إلا بها (الكتّاب والشيخ والطالب). وكان التعليم بها ابتدائيًّا بسيطًا، يشتمل على تعليم مبادئ القراءة، والكتابة، وحفظ القرآن الكريم، والكثير من أحاديث الرسول ﷺ. وبفضل هذه الكتاتيب كانت الأميّة معدومة لدى الفرد والمجتمع الجزائري، التي انتشرت فيه بعد الاحتلال، وذلك بسبب اشتغال كل الجزائريين بتثبيت دعائم أمنهم ومقاومة الغزاة، منشغلين بالجهاد عن تعليم أبنائهم[٩]، حتى إنه يوم دخول الفرنسيين للجزائر كانت نسبة من يعرفون القراءة والكتابة من أبناء الجزائريين قرابة ٥٥٪

من مجموع السكان، في الوقت الذي كانت نسبة الأميّة مرتفعة لدى جنود الحملة، حتى كادت تبلغ الخمسين بالمائة بين الجنود والمستعمرين[١٠].

وقد كان التعليم في مراحله الابتدائية والمتوسطة والعالية يُدرس بالمجان، بل كانت تُصرف لطلبته جميع وسائل العيش وسائر متطلبات الحياة الاجتماعية والعلميّة من نفقة الأوقاف الإسلامية، التي كان يوجد في مدينة الجزائر وحدها قرابة ثمانية آلاف عقار تابع للأوقاف، تُصرف إيراداتها على طلبة العلم[١١].

وأما التعليم الثانوي فقد كان يتم في المساجد الكبرى، التي كانت بجوارها المدارس، وفي الزوايا المشهورة، مثل معهد الهامل ببوسعادة، ومعهد سيدي اليلولي ببجاية، يتولاها شيوخ مشهود لهم بالعلم والدراية والتقوى، مجازين من علماء الحواضر الجزائرية الكبرى، أو من غيرها من الحواضر العلميّة الإسلاميّة الشهيرة[١٢].

وإضافة إلى تولي مصلحة الأوقاف الإسلامية نفقات الطلبة والشيوخ كانت سبل الخيرات تتكفل أيضًا بنفقات تلك المدارس والزوايا من: صيانة واعتناء وتجهيز وتلبية حاجات ومتطلبات..[١٣].

وقد كان بمدينة الجزائر يوم احتلالها قرابة ثمانين مدرسة وكتّابًا، وفي قسنطينة يوم احتلالها سنة ١٨٣٧م قرابة سبعين مدرسة وكتّابًا، و كان في تلمسان قرابة خمسين مدرسة[١٤].

أما التعليم العالي فقد كان في جوامع الحواضر العلميّة الكبرى ومساجدها: (تلمسان. بجاية. قسنطينة)، إضافة إلى الجزائر التي اضطلع بالتدريس فيها علماء مجازون، سبق لهم أن تلقوا تكوينًا علميًّا في إحدى الحواضر العلميّة الإسلامية الشهيرة (الأزهر. الزيتونة. القرويين)، وأجيزوا منها[١٥]، وكانوا يتلقون في المعاهد العليا - الثانوية - علوم عصرهم الآتية:

١- النحو : متن الآجرومية بشرح الكفراوي، والشيخ خالد الأزهري، ثم القطر لابن هشام، وحاشية السجاعي، ثم ألفية ابن مالك بشرح المكودي، وشرح ابن عقيل، والأشموني.

٢- الصرف: متن الزنجاني بشرح سعد الدين التفتزاني، ولامية الأفعال بشرح بحرق، وغيرهما...

٣- اللغة: مقامات الحريري، وقطع مختارة من الشعر والنثر.

٤- العروض : متن الكافي بشرح الدمنهوري، والخزرجية بشرح الأخضري.

٥- البيان: الجوهر المكنون بشرح الدمنهوري، والسمرقندية بشرح العطار.

٦- التفسير : الجواهر الحسان في تفسير القرآن لسيدي عبد الرحمن الثعالبي.

٧- القراءات: الشاطبية، وغيث النفع لسيدي علي النووي.

٨- التوحيد: المنح الفكريّة على متن الجزريّة، وحاشية زكريا الأنصاري.

٩- الحديث : موطأ الإمام مالك بشرح الباجي، والزرقاني. وصحيح البخاري بشرح القسطلاني.

١٠- مصطلح الحديث : متن البيقورية بشرح الزرقاني.

١١- الفقه: المرشد المفيد بشرح مياره، متن رسالة أبي زيد القيرواني بشرح أبي

الحسن، ومتن خليل بشرح الدردير، وشرح الخرشي.

١٢- أصول الفقه: متن الورقات لإمام الحرمين بشرح الحطاب، وتنقيح الفصول في الأصول للقرافي.

١٣- أصول الدين: رسالة السنوسي بشرح البيجوري، والجوهرة للقاني بشرح ولده عبد السلام، ومتن الخريدة بشرح الدردير، والعقائد النسفية بشرح التفتزاني.

١٤- علم الفلك: متن السنوسي بشرح المؤلف، وشرح الوزيري، ونظم السراج بشرح مؤلفه، ومفيد المحتاج للأخضري[١٦]، وغيرها.

والمتمعن في العلوم التي كانوا يلقنونها لطلاب العلم في ذاك العصر يلاحظ ما يأتي:

١- تناول طلاب العلم كل العلوم العربية والدينيّة الشهيرة.

٢- ارتفاع مستوى التعليم وارتقاؤه إلى درجة الحواضر العلميّة الإسلامية المشهورة.

٣- قدرة العلماء الجزائريين على تناول علوم عصرهم العربية والدينيّة والعقليّة.

مكانة المعلم:

كان للمعلم مكانة مرموقة، ومهابة في المجتمع، فهو المقدم فيه، وبه تُحل مشكلاته، وتُقضى أموره، ومنه تُؤخذ الفتوى الصحيحة.. ولا يُفصل في أمر من أمور المجتمع إلا بحضوره[١٧].

وكان الأستاذ يعينه الناظر المتصرف في شؤون الأوقاف الإسلامية، بتوصية من أرباب العائلات المُوقِفة، وتُخصَّص له دار مجانية، مجهزة أحسن تجهيز، ممولة من توابع الأوقاف، إضافة إلى اشتغاله أيضًا بأمور المسجد من: أذان، وإقامة، وإمامة، وخطبة، وحضوره لسائر المناسبات، وفي مقابل ذلك كلّه يتلقى أجره من أموال الأوقاف، كما كان يتلقى أيضًا من أولياء التلاميذ الذين كانوا يدرسون عنده ما يأتي:

١- منحة مالية بحسب الوضع المالي لكل عائلة، تصل أحيانًا إلى قرابة ١٤ فرنكًا ذهبيًا.

٢- هدايا بمناسبة الأعياد الدينيّة المتعدّدة (العيدين، المولد النبوي، عاشوراء) ما يقارب ٥ فرنكات ذهبية.

٣- تبرعات في المواسم الفلاحية المتنوعة، وتبرعات بمناسبة ختم أبنائهم حفظ القرآن كلّه، أو لأجزاء منه، وتقدر بِقرابة ١١ فرنكًا ذهبيًّا.

ومن ثمّ يصبح مجموع ما يتقاضاه المعلم في السنة من ثلاثين إلى خمسين فرنكًا ذهبيًّا[١٨]، وهذا المبلغ كبير جدًا؛ إذ يكفي لشراء هكتار من الأراضي الخصبة. وهذا يدل على قدر المعلم ومكانتة والعلم وأهله، كما يدل على مدى احترام الجزائريين وتوقيرهم للعلم وللعلماء.

وبهذا النسق التعليمي والثقافي والديني واللغوي الراقي شكّل الجزائريون ثوابت شخصيتهم الوطنية بالخصوصيات والمميزات العربية الإسلامية الآتية:

١- الدين الإسلامي الحنيف الذي حماهم لمّا تمسكوا به من كل عوامل الانحراف والمسخ والتشويه..

٢- اللغة العربية وحدت فكرهم ومشاعرهم، وقوّت رابطتهم ووحدتهم الوطنية والاجتماعية.

٣- التاريخ العربي الإسلامي الذي شكلهم وصهرهم في بوتقة واحدة روحًا وشعورًا وتصوّرًا.

٤- الثقافة العربية الإسلامية بخصوصياتها، وثوابتها الربانيّة ومتغيّراتها البشريّة الأخلاقية، التي ميزتهم عن غيرهم من الأمم الأخرى.

٥- الوطن الجزائري الذي عاشوا فيه حقبًا طويلة، وشكلوا فيه مشاعرهم وأحاسيسهم التاريخيّة[١٩].

ونحب أن نختم هذا العرض بالتقرير الذي قدّمه قائد الفرقة العسكرية بإقليم قسنطينة (اليوتنان جنرال بيدو - PIDEAUX) إلى الإدارة الاستعمارية المركزية بوزارة الحرب الفرنسية يوم ١٢/٠٢/١٨٤٧م، عن مستوى التعليم، ودور الثقافة بقسنطينة بعد عقد من سقوطها مبيّنًا مكانتها وأهميتها؛ إذ يقول:

«... لا جدال في أنّ مدينة قسنطينة كانت منذ الفتح الإسلامي مركزًا رئيسًا بالمنطقة، فكانت مدارسها أعلى من مدارس الجزائر ووهران، ولم تتفوق عليها في مضمار السمعة والعلم سوى مدارس تونس والقاهرة بالمشرق، وعند الاستيلاء عليها عام ١٨٣٧م كان يوجد بها خمسة وثلاثون مسجدًا، وسبع مدارس، تتسع لعدد من التلاميذ يتراوح بين ٦٠٠ و٧٠٠ تلميذ، يتلقون فيها تعليمًا يعرف بالتعليم الثانوي، إضافة إلى دروس أخرى، كان يلقيها أشخاص ذوو سمعة واسعة يحضرها جمع غفير من الطلاب والمستمعين، حتى لتغص بكثرتهم المساجد.. وفي المدة نفسها كان بالمدينة تسعون مدرسة ابتدائية يتردد عليها قرابة ١٣٥٠ طفلٍ، لم يبق منهم اليوم سوى ستين شابًّا، يتابعون تعليمهم الثانوي، أمّا عدد المدارس فقد انخفض إلى ثلاثين، كما انخفض عدد التلاميذ إلى ٣٥٠ تلميذ...»[٢٠].

والمتمعن في هذا التقرير الصادر عن قادة الاحتلال يكتشف من خلاله المستوى التربوي والتعليمي في المدينة مقابلة بمثيلاتها من الحواضر العلميّة الجزائرية والعربية والإسلاميّة، كما يتبيّن مكانة قسنطينة الدينيّة والثقافيّة والعلميّة، إضافة إلى عدد المساجد والمدارس، ونوعية التعليم الموجود بها ومستواه، وكذلك نوعية المدرسين القائمين على التعليم فيها.

وعليه - وباعتراف الفرنسيين أنفسهم - لم يكن الشعب الجزائري شعبًا متخلفًا، بل كان شعبًا متعلمًا متحضرًا، يتقن أغلب سكانه القراءة والكتابة، ويضم ترابه قرابة ألفي مدرسة وجامع ومسجد وزاوية. تنشر العلوم وتبثّ المعارف، وتنور الشعب. ولكن ماذا فعل الفرنسيون به وبمدارسه وبثقافته لمّا دخلوا إلى الجزائر؟

ولنحاول الآن تتبع سياسة فرنسا الاستعمارية التعليميّة والتربويّة والثقافيّة التي اتبعتها مع الشعب الجزائري المستضعف في أرضه وقيمه ولغته ودينه.

سياسة فرنسا التعليميّة في الجزائر:

تشير التقارير الفرنسية التي صدرت عن مسؤولي الإدارة التعليميّة الاستعماريّة المباشرين، وفي تقريرها المؤرخ يوم ١٢/٠٢/١٨٤٧م، إلى أنه في الجزائر العاصمة، وبعد مرور عقدين من استعمارها، اختفى منها العديد من المساجد، وهدمت فيها خمس زوايا، وصودرت منها عائدات المساجد والزوايا ورباطات الخير؛ لتتحول باتجاه آخر يخالف مقاصد الواهبين والواقفين لممتلكاتهم ووصاياهم.

ولم يعد الأساتذة والمعلمون يتلقون سوى راتب متواضع، ولم تعد دروسهم منظمة مبرمجة كما كانت عليه قبل الاحتلال إلا قليلاً منها، إضافة إلى تراجع مستوياتها..[٢١].

ويضيف التقرير متناولاً وضع الزوايا في أوساط سكان بلاد القبائل، التي لم يعد لها وجود وتأثير سوى بالاسم فقط، ذلك أنّ حملاتنا العسكرية قد شتتت جموع الطلبة، وزادت في عدد أعدائنا من طلبة العلم، في حين أنّ المخطوطات التي كانت تشكل قاعدة للتعليم أُتلفَ جانب كبير منها وأحرق...[٢٢].

ويخلص التقرير إلى النتيجة الآتية:

«والنتيجة أننا لا نقدر في زمن معين العثور على رجال أكفاء يتولون مناصب الإفتاء والقضاء، ويتمكنون من اكتساب النفوذ بعلمهم، هذا العلم الذي هو ضروري لسياستنا في الجزائر»[٢٣].

هذه اعترافات الفرنسيين أنفسهم عن واقع التربية والتعليم في الجزائر بعد عقدين من الاحتلال، والتي كان يفترض - حسب ادعاءات رجال الحملة الفرنسية - أن تتحضر وتتمدن وتتقدم، لا أن يؤول أمرها إلى الصورة البشعة التي قدمها الفرنسيون أنفسهم.

وفي هذا الصدد نسوق شهادة أخرى صادرة عن المؤرخ والباحث الفرنسي (بولارد - POLARD) الذي يصف حالة التربية والتعليم في الجزائر غداة الاحتلال بقوله:

«.. إنّ وصول الفرنسين إلى الجزائر أحدث بلبلة عميقة في عالم المفكرين والأدباء، لقد ترك أغلب العلماء كراسي تدريسهم، وتفرق التلاميذ في البلاد، وعوضًا عن الدروس العامّة التي كانت تؤخذ في الاجتماعات أخذ أولئك يبحثون عن فك معميات العلوم في دروس منعزلة، وبمدارس من الدرجة الثانية، أو في الزوايا البعيدة، في حين وضعت إدارة المساجد في يد طماعين، يحولون مصارف الأوقاف لجيوبهم، ومنذ ذلك الوقت أهملت كل المدارس تقريبًا..»[٢٤].

فالمدارس والجوامع والمساجد والزوايا والكتاتيب دمر معظمها، وشرد طلبة العلم منها، وضيق على العلماء فيها، ومزقت كتبهم ومصنفاتهم وأتلفت، وحرموا من نفقات الأوقاف ومعوناتها وجراياتها، وفقد الكثيرُ من الدروس النظامَ والرتابة، وتذبذب الكثير من الدروس، وانقطع عنها الكثير من طلابها، ومن ثمّ تراجع مستوى العلم والتعليم والفتوى على عكس ما كان عليه في المدة السابقة للاحتلال؛ لأنّ الفرنسيين بقرار الضم والإلحاق الذي استصدروه يوم ١٨٣٤/٧/٢٢م في حق الجزائر وشعبها ضموا معه كل شيء، بما في ذلك المؤسسات التعليميّة والدينيّة وغيرها، وألحقوها مباشرة بوزارة الحرب الفرنسيّة، وصار يسيرها مفتشان أحدهما للتعليم العام، وثانيهما للمدارس الابتدائية تحت إشراف الوالي.

وظلت مسائل التعليم من اختصاص وزارة الحربية إلى تاريخ ١٨٤٨/٨/٧م باستصدار أول قرار يعيد تنظيمها، ثم أعقبه القرار الثاني الصادر يوم ١٨٤٨/٩/٨م عن السلطات التنفيذية[٢٥]، وليُوضع بهذين القرارين حد للنظام السابق، ولتربط مصالح التربية والتعليم في الجزائر بوزارة التعليم الفرنسية، ولتنشئ بعدها أكاديمية الجزائر، يتولاها (العميد - الدكتور) الذي يشرف على المصلحة، ويتولى أمورها، ويحضر اجتماعات مجلس الحكومة، ويراسل وزير التربية والتعليم مباشرة، ويشرف على جميع

مراحل التعليم ومستوياته باستثناء المدارس الإسلامية التي بقيت تابعة مباشرة لوزارة الحربية الفرنسية[٢٦].

سياسات فرنسا التعليميّة:

وباستصدارها لقراري سنة ١٨٤٨ تكون إدارة الاحتلال قد ألحقت مصالح التعليم العربي الإسلامي ومؤسساته الجزائرية بها مباشرة، استجابة لقرارها بالاستيلاء على جميع الأوقاف الإسلامية في سائر القطر الجزائري، الصادر يوم ١٨٣٠/٩/٨م[٢٧]. ثم تبعت هذه القرارات الاستعمارية قرارات وقوانين كثيرة تهدف جميعها إلى إحكام السيطرة الاستعمارية على القطاع التربوي، والتعليمي، والثقافي، والديني... في الجزائر. بهدف استكمال احتلالها الفكري، واللغوي، والثقافي بعد استكمال احتلال ترابها.

ثم جاءت القوانين والمراسيم تترى،ومنها مرسوم١٨٥٠/٩/٣٠م القاضي بإنشاء ثلاث مدارس عليا، تعلم العلوم العربية والدينيّة إضافة إلى العلوم الفرنسية، سميت تلك المدارس (الفرنكو ميزيلمون FRANCO - MUSULMANT)، واحدة في الجزائر، والثانية في تلمسان، والثالثة في قسنطينة[٢٨].

ثم جاء ليزكيه مرسوم ١٨٨٣/٢/١٣، الذي يجعل من التعليم الرسمي في الجزائر كلّه تعليمًا فرنسيًّا خالصًا في: اللغة، والمناهج، والوسائل، والتوجّه، وتضمن المرسوم إنشاء نوعين من المدارس التعليميّة؛ إحداهما خاصّة بأبناء الأوربيين المستوطنين بامتيازاته وخصوصياته الرفيعة، وليكون المستوى التعليمي الأول في الجزائر[٢٩].

والنوع الثاني التعليم الخاص بأبناء الجزائريين (الأهالي - لانديجان)، الذي استبعدت عنه ثقافته ولغته وحضارته العربية الإسلامية، وجعلته تعليمًا فرنسيًّا خالصًا في المرتبة الثانية من غير امتيازات الدرجة الأولى وخصوصياتها، مع تعليم اللغة العربية في المرحلة الثانوية والعالية اختياريًّا، كما أشار المرسوم إلى تعليم الجزائريين العربية إلى جانب الفرنسية في المرحلة الابتدائية، غير أنه لم يطبق أبدًا، بحجة عدم وجود مدرسين لتعليم اللغة العربية[٣٠].

وقد لجأت الإدارة الاستعمارية إلى استصدار مثل هذه القوانين والمراسيم بهدف تطويق اللغة العربية والثقافة العربية الإسلامية وإبعادهما، نزولاً عند دوافعها الاستكبارية المتنوعة، التي من أهمها :

١- تأرجحها بين نزعتين استعماريتين، كلاهما خسيسة من الناحية الإنسانية، ومخالفة لأبسط مبادئ حقوق الإنسان، الذي تدعيه الثورة الفرنسية؛ إذ تحث النزعة الاستعمارية الأولى إلى ضرورة تعليم الجزائريين باللغة الفرنسية تمهيدًا لمسخهم وفرنستهم وإدماجهم النهائي في الرابطة المسيحية. والنزعة الثانية التي تنادي بضرورة حرمانهم من كل تعليم، سواء أكان باللغة العربية، أو باللغة الفرنسية، بدعوى أن تعلمهم سينوّرهم، ومن ثمّ سيؤدي بهم - آجلاً أو عاجلاً - إلى طلبهم الحرية والانعتاق، وطلب الانفصال عن فرنسا[٣١].

٢- تعصب المستعمرين الأعمى وحقدهم الدفين وكبرياؤهم وأنانيتهم... وعدّ أنفسهم سادة، والجزائريين عبيدًا وخدما

لهم ولمشاريعهم التخريبية، ومن ثمّ لا يحق للعبيد أن يتعلموا.

٣- رفض الإدارة الاستعمارية والمستعمرين خاصّة تخصيص ميزانية إضافية لترقية التعليم الخاص بأبناء الجزائريين.

وهذا التضييق سبب عزلة للثقافة العربية والإسلامية وللغة العربية، كما دفع الجزائريين إلى التمسك بآخر ما تبقى لهم من حصون المناعة والتحصين العربي الإسلامي يتمسكون به لنهضتهم القادمة.

وسائل السياسة الاستعمارية وآلياتها:

ولإنجاح سياستها الثقافية الاستعمارية ولمطاردة الوجود الأخير للثقافة العربية الإسلامية في الجزائر عمدت الإدارة الاستعمارية إلى الأساليب والوسائل الاستعمارية الآتية:

١- حصر تعليم الجزائريين في أقل الحدود وأضيقها.

٢- التقليل من إنشاء المدارس الخاصة بالجزائريين في مراحل التعليم المتعددة.

٣- تحديد عدد التلاميذ الجزائريين في كل مراحل التعليم؛ إذ دلت الاحصاءات الرسمية الفرنسية على أن الشعب الجزائري كان يزيد كل عام بمقدار مائة ألف نسمة، في حين أنّ التلاميذ المقبولين للدراسة في المدارس الفرنسية يصل إلى ٣٦٠٠ تلميذ فقط. وهذه نسبة ضئيلة وتافهة جدًّا إذا ما قيست بعدد المواليد، ولذلك كانت الأمية منتشرة في الجزائر انتشارًا كبيرًا بحيث تصل إلى نسبة ٩٥٪ في صفوف الرجال، وإلى نسبة ٩٩٪ في صفوف النساء[٣٣].

٤- خفض ميزانية التعليم الخاصة بالجزائريين إلى أقل حدّ ممكن.

٥- الاهتمام بالتعليم النظري على حساب التعليم المهني والفني التطبيقي.

٦- تشجيع الأوربيين على التعليم بفروعه، وجعل الآفاق والمجالات واسعة أمامهم، وغلقها أمام الجزائريين.

٧- وضع كل الشروط القاسية أمام الجزائريين في الامتحانات والمسابقات... وذلك لتثبيطهم وعرقلتهم.

٨- فرض مصاريف تعليميّة باهظة بعد المرحلة الابتدائية المجانيّة، تفوق كل إمكانات معظم الجزائريين وطاقاتهم المحدودة والضعيفة[٣٣].

٩- إصدار القوانين والقرارات التي تقلص من مكانة الثقافة الإسلامية واللغة العربية، وعلى رأسها قرار ١٩/١٠/١٨٩٢م، القاضي بوجوب الحصول على رخصة لفتح مدرسة عربية؛ لتدريس اللغة العربية، والدين الإسلامي[٣٤]، الذي تدعم بقانون ٢٤/١٢/١٩٠٤م، الذي يحظر على أي جزائري أن يفتح أو أن يتولى إدارة مدرسة عربية أو كتّاب لتعليم القرآن الكريم إلا بترخيص من عامل العمالة الفرنسي في المناطق الشمالية، التي تخضع للحكم المدني، أو في المناطق الجنوبية الصحراوية التي تخضع للحكم العسكري المباشر[٣٥].

ولعلّ وصف الزعيم والمناضل المصري الأستاذ (محمد فريد بك وجدي) الذي زار الجزائر سنة ١٩٠١م. ووصف لنا حال أهلها

المستضعفين، وحال التربية والتعليم ومؤسساته التعليميّة والثقافيّة خير وصف، وأرّخ لها خير تأريخ؛ إذ يقول:

«.. فالتعليم الديني لا وجود له تقريبًا، ولولا من يتكبد مشقة العلم من جامعنا الأزهر لأصبح نسيًا منسيًّا، أما ما اتفق على تسميته بالتعليم العصري فلا وجود له بالنسبة للمسلمين أبدًا، نعم يوجد بالقطر الجزائري مئات من المدارس الابتدائية الفرنساويّة على طراز مدارس فرنسا لكنها كلها مخصصة لأولاد الفرنساويين، ولا تفيد من يدخلها من العرب لعدم تعليم اللغة العربية بها، وباختصار فحال التعليم في القطر الجزائري سيئة جدًّا، ولو استمرت الحال على هذا المنوال لحلّت اللغة الفرنساوية محل اللغة العربية في جميع المعاملات، بل ربما تندرس اللغة العربية بالمرّة، فلا الحكومة الفرنسوية تسعى في حفظها، ولا تدع الأهالي يؤلفون الجمعيات لفتح المدارس؛ لأنّ الاجتماع ممنوع خوفًا من أن تشتغل جمعياتهم بالأمور السياسية...»[٣٦].

تبيّن هذه الشهادة الحيّة واقع التربية والتعليم في الجزائر مع مطلع القرن العشرين، ذلك الواقع التربوي المنهار، الذي استمر على وضعه المزري إلى استقلال الجزائر؛ فإلى قبيل الحرب العالمية الثانية كان عدد الأطفال الجزائريين الذين ينبغي أن يدخلوا المدارس قرابة مليون ومائتي ألف طفل، لا يلتحق منهم بالمدارس الفرنسية إلا عشرة آلاف ومئة ألف فقط، هؤلاء يجدون مقاعدهم الدراسية، وهذا بعد قرن كامل من الاحتلال الفرنسي للجزائر[٣٧].

وإلى سنة ١٩٤٤م تشير الاحصاءات الفرنسية إلى أنّ نسبة التعليم بين الجزائريين بلغت ٨٪ فقط في الوقت الذي تبلغ فيه لدى أبناء المستعمرين ١٠٠٪[٣٨].

وظلت القوانين والقرارات الاستعمارية التعسفيّة تترى لمحاربة الحصون الأخيرة للوجود العربي الإسلامي في الجزائر حتى بعد مرور قرن كامل من الاحتلال، فقد شهدت مدة الثلاثينات صدور قانونين خطيرين ومصيريين في حياة الجزائر، وجمعية العلماء المسلمين الجزائريين أولهما: قانون ميشال الصادر يوم ١٩٣٣/٢/١٦م، القاضي بحرمان رجال جمعية العلماء ووعاظها وأئمتها من الوعظ في المساجد، وقانون الثامن من مارس ١٩٣٨م المشؤوم، الذي يعدّ اللغة العربية لغة أجنبية في الجزائر[٣٩].

والخلاصة التي نصل إليها عن وضع الجزائر التعليمي والثقافي نجملها في العناصر الآتية:

١- عزم الإدارة الاستكبارية الفرنسية على محاربة اللغة العربية لغة الجزائريين الأصلية.

٢- حرص الإدارة الفرنسية على محاربة الإسلام واستئصاله من قلوب الشعب الجزائري.

٣- وحشية الأساليب الاستعمارية الفرنسية في محاربة الشعب الجزائري.

٤- تشويه الشعب الجزائري ومسخه وفرنسته وتغريبه عن دينه ولغته وثقافته وقيمه العربية الإسلامية.

٥- كشف حقيقة الاستعمار البشعة والمتناقضة بين عالم المثاليات الذي كان ينادى به في شعارات الثورة الفرنسيّة (حرية. عدالة. مساواة)، وبين معاملتها الاستكباريّة الاستعبادية للشعب الجزائري.

ولذا تنبهت السلطات الاستعمارية إلى أخطائها الثقافية تجاه الجزائريين، وإلى أهمية المثقف الممسوخ ودوره السلبي تجاه لغته ودينه وثقافته، كما تنبهت كذلك إلى دوره في قيادة المجتمع، وصنع حركيّة الحياة، فسارعت بين الحربين العالميتين إلى زيادة عدد الطلاب الجزائريين في الجامعات الفرنسيّة بفرنسا، والفرنسيّة بالجزائر، وذلك لتحقيق مشاريع الموالاة المستقبليّة، فسعت بالأساس إلى:

١- خلق نخبة جزائرية استعمارية مثقفة وموالية لها روحًا وعاطفة وشعورًا ولغة وسلوكًا.

٢- خلق نخبة فكريّة وثقافيّة معزولة عن قيمها ومجتمعها ومثلها العليا.

٣- خلق نخبة حريصة على استمرار سياسة الاستعمار الثقافية.

٤- إيجاد جيوب من التبعيّة الفكريّة واللغويّة والثقافية الفرنسية في كيان الشعب الجزائري العربي المسلم وروحه بغية تحطيمه وتقويضه من الداخل.

٥- تحقيق الشهود والوجود الاستكباري المتطور بعد انكشاف أشكاله القديمة.

٦- ضمان استمرار عمليات الهيمنة والتدجين ... بوساطة اللوبيات الثقافية الاستغرابية الجزائرية الشكل والفرنسية الروح واللغة.

في ظل هذه الأوضاع التعليميّة والتربويّة والثقافيّة المأساويّة ولدت أجيال من الجزائريين الممسوخين ونشأت وتعلمت.

سياسة فرنسا الثقافية في الجزائر:

ينقل الأستاذ عبد الرحمن الجيلالي في مؤلفه التاريخي الشهير[٤٠] شهادة تاريخيّة لأحد المثقفين الجزائريين، يوضح فيها المستوى الفني والثقافي والأدبي، الذي كانت عليه الجزائر قبيل عهد الاستعمار، والتي كانت من صميم عادات الشعب الجزائري منذ العصور الإسلامية المتقدّمة، حيث يقول:

«هذا وقد جرت عادة أهل بلادنا الجزائر - حرسها الله من الفتن، وحاطها من الدوائر - أنه إذا دخل شهر ربيع الأول انبرى من أدبائها وشعرائها من إليه الإشارة وعليه المعول، إلى نظم القصائد المديحيات والموشحات النبويات، ويلحنونها عن طريق الموسيقا بالألحان المعجبة ويقرأونها بالأصوات المطربة، ويصدعون بها في المحافل العظيمة، والمجامع المحفوفة بالفضلاء والرؤساء من المساجد، والمكاتب، والمزارات، وهم في أكمل زينة وأجمل شارات وأحسنها، تعظيمًا لهذا الموسم الذي شرف به الإسلام..»[٤١].

يشير هذا النص التاريخي إلى المستوى الثقافي والأدبي والفني الجمالي الذي كانت عليه عادات الشعب الجزائري في المواسم والأعياد الدينيّة والاجتماعيّة وغيرها، فهو يكشف لنا عن وجه الجزائر الثقافي المشرق، والمتمثل في ما يأتي:

١- الإشارة إلى وجود العادات والتقاليد والأعراف الموقرة المتبعة في سائر البلاد الجزائرية، التي يحبها ويحترمها ويطيعها، ويأتيها سائر أفراد الشعب حكامًا ومحكومين.

٢- مكانة موسم ميلاد الرسول محمد ﷺ وأهميته لدى الفرد والمجتمع الجزائري.

٣- مكانة الشعراء والأدباء في المجتمع ودورهم، وموقع انتاجهم الأدبي لدى الخاصّة والعامة.

٤- مستوى الفن والغناء والموسيقا الجزائرية الراقية بقصائدها وموشحاتها وأغانيها الهادفة.

٥- اهتمام الحكام والأعيان والعلماء وعامة الناس بهذه المناسبة الدينيّة، وتعظيمهم لها.

٦- مكانة المساجد والمزارات والمكاتب في مثل هذه المناسبات.

٧- الإشارة إلى الزي التقليدي الذي كان يرتديه سكان الجزائر في مثل هذه المناسبات...

ولعلّ الرحالة الألماني (فيلهام سيمبرا)، الذي زار مدينة الجزائر في شهر ديسمبر سنة ١٨٣١م، وكتب عنها في رحلته، خير شاهد على ذلك، حيث يقول واصفًا ما شاهده:

«لقد بحثت قصدًا عن عربي واحد في الجزائر يجهل القراءة والكتابة غير أني لم أعثر عليه، في حين أني وجدت ذلك في بلدان جنوب أوربا، فقلما يصادف المرء هنالك من يستطيع القراءة من بين أفراد الشعب، ومن الإنصاف أن نقول: إنّ الجزائريين يتكلمون الفرنسية بطلاقة، وذلك ما دعا الحكومة الفرنسية إلى استخدامهم في الوظائف العموميّة، أمّا الفرنسيون الذين يتكلمون العربية فلا وجود لهم إلا في النادر جدًّا..»[٤٢].

هذه الشهادة الآتية من رحالة أوربي محايد تحمل العديد من الدلالات على رقي الفرد الجزائري الثقافي والفكري واللغوي، فقد حملت إلينا ميّزة - إضافة إلى ميّزة انعدام الأميّة فيهم - كان يتميز بها الجزائريون دون سواهم من الفرنسيين أو غيرهم، وهي تمكنهم من ناصية اللغة الفرنسية، وهذا يدل على مدى اهتمام الجزائريين بجيرانهم في شمال البحر الأبيض المتوسط، كما تكشف لنا عن المستوى الفكري والثقافي المنحط الذي كان عليه جنود الحملة الفرنسية.

ولذلك ركّز المخطط الاستعماري الفرنسي بالأساس منذ البدايات الأولى للاحتلال على محاربة كل المقومات الأساسية للشخصية الجزائريّة وإزالتها وتقويضها، وذلك عبر طرق وآليات ووسائل وأساليب وحشية.

لقد كان مخطط الاستعمار - كما يذكر الدكتور عثمان سعدي[٤٣] - طوال وجوده بالجزائر مبنيًّا على إفراغ الشخصية الجزائرية من مضمونها القومي والوطني؛ لإحلال مضمون الفرنسية محلها، وكان يشرف على تطبيق هذا المخطط كبار أساتذة الاستعمار الفرنسي، وهم متخصصون في كل العلوم الإنسانية وعارفون بالدقائق الخفيّة للتركيب النفسي والاجتماعي للفرد الجزائري، وكان هذا المخطط ذا حدين متوازيين متكاملين: الأول مباشر، تمثل في غلق جميع الفرص أمام الجزائري، التي تمكنه من تعلم لغته الوطنية، وهذا يطبق في المدرسة على الخصوص... والثاني غير مباشر، تمثل في إفساد الذوق الفني الجزائري في الأغنية والموسيقا والمسرح والأدب، وسهر على تطبيق هذه الخطّة جهاز الإعلام الفرنسي المتطور[٤٤].

وكل المجهودات التي بذلتها الإدارة الاستعمارية في الجزائر ضد الفرد والمجتمع

الجزائري في النواحي التربويّة والتعليميّة والثقافيّة إنما هدفت بالأساس للقضاء على اللغة العربية أولاً، المقوم الرئيس للثقافة العربية والدين الإسلامي، محاولة منها لصرف الفرد الجزائري عن لغته وثقافته ودينه إلى لغة المستعمر وثقافته ودينه.

وقد مرّت عمليتها التدجينية تلك عن طريق مجموعة من الاجراءات والوسائل والأساليب؛ لتحول الفرد الجزائري بالتدريج من فرد ناقم ومقاوم ومغالب للاستعمار إلى فرد راض بالتعايش معه، ثم إلى فرد خاضع له، ثم إلى فرد متميز بخاصية القابلية للاستعمار والإذلال، ثم إلى درجة المسلّم المطلق بحتميّة الاستعمار الفرنسي عليه، وبقدر ربه المحتوم عليه، وذلك بما يأتي:

١- محاربة اللغة العربية محاربة استئصاليّة شديدة، وتقسيمها على ثلاث لغات: (عاميّة. قديمة. حديثة).

٢- محاربة الدين الإسلامي الحنيف بصفته دينًا متكاملاً - حمى الجزائر عبر حقبها التاريخيّة- والتقليل من شأنه وتشويهه بشتى أساليب التشويه والمسخ.

٣- عدّ اللغة العربية لغة أجنبية في دارها وبين أهلها.

٤- فَرْنسة مراحل التعليم وطبعها بالطابع الأوربي المسيحي.

٥- تشويه تاريخ الجزائر في ظل العروبة والإسلام، وضرب قيم الانتماء، ومقومات الهويّة العربية الإسلامية للفرد وللمجتمع الجزائري.

٦- عدم تدريس الجزائريين تاريخهم الوطني العريق العربي الإسلامي. وعدم تدريس جغرافية بلادهم والعالم العربي والإسلامي، والاستعاضة عنهما بتدريس تاريخ فرنسا وأوربا الصليبيّة وجغرافيتها، والوثنيّة اليونانيّة والرومانيّة البائدة[٤٥].

٧- تقديم الثقافة المسيحيّة القويّة الناهضة بديلاً عن الثقافة العربية الإسلامية الضعيفة المهزومة.

٨- ضرب ستار حديدي مقيّد وعازل للجزائر عن وسطها الطبيعي وامتدادها العربي الإسلامي، وذلك بهدف عزلها حضاريًّا.

٩- تضييق الخناق وضرب الحصار بالنفي والتشريد والسجن والغرامات وقيود التراخيص، وغيرها.. على كل رجال الفكر والعلم والفقه والثقافة العربية الإسلامية الأصيلة.

١٠- فَرْنسة الإدارة ووسائل الإعلام، وجميع مجالات الفكر والأدب والفن والثقافة... ومطاردة حصون الثقافة العربية الإسلامية في جميع المجالات، بغية محوها من عالم الشهود الحضاري.

١١- تعطيل النوادي العربية الحرّة، التي كانت تقوم بنشر اللغة العربية، وتربية النشء على القيم العربية الإسلامية الأصيلة.

١٢- تعطيل العمل بالشريعة الإسلامية لكل المسلمين الجزائريين، وفرض الاحتكام إلى القوانين الوضعيّة الفرنسية، أو إلى العرف والعادات بالنسبة لبلاد القبائل.

١٣- اخضاع جميع المؤسسات الدينيّة إلى السلطة الاستعماريّة المباشرة، ورفض العمل بقانون فصل الدين عن الدولة.

١٤- فتح الجزائر أمام البعثات التبشيريّة المسيحيّة على اختلاف مذاهبها، وتمكين تلك البعثات من كل الأسباب الماديّة والمعنويّة والبشريّة والقانونيّة.

١٥- القضاء على كل مراكز الثقافة العربية الإسلاميّة، من: جوامع، ومساجد، ومدارس، وزوايا، وكتاتيب، ورباطات، ومكتبات..[٤٦].

١٦- تكوين جيل مشوّه وممسوخ من الجزائريين لا صلة له بأمته، وتاريخه، ولغته، ودينه، ووطنه...، وذلك بدمجهم في إطار الثقافة والقوانين الفرنسيّة؛ ليصبحوا مسلمين فرنسيين مندمجين، يشكلون جيوبَ تبعية وولاء له في حال وجوده ورحيله، وهو ما تم بالفعل بعيد استقلال الجزائر الظاهري سنة ١٩٦٢م.

وما كاد يمضي على الجزائر والجزائريين قرن وثلث القرن من الاستعمار حتى كانت نسبة الأميّة تشكل بين رجاله ٩٥٪، وبين نسائه ٩٨٪[٤٧].

هذه هي حضارة أوربا المسيحيّة، التي حملتها إلى العالم العربي والإسلامي لتحضيره وتمدينه.

ولنرى وصف الأستاذ (محمد فريد بك وجدي) لواقع الجزائريين الثقافي مع مطلع القرن العشرين، الذي تناوله بكثير من الفهم والعمق والشجاعة والإسهاب، واضعًا يده على الأسباب والدوافع الحقيقيّة والتاريخيّة له، حيث يصف ذلك بقوله:

«كانت ربوع العلم آهلة بالطلاب، وجوامع القطر الجزائري مليئة بالمعلمين والمتعلمين، ودور الكتب عامرة بالمؤلفات والمطالعين، واشتهر من بين أهل الجزائر كثير من الكتبة والمؤلفين... إلى أن أخذت هذه الحال تتبدل في أوائل القرن الماضي، وكان الفتح[٤٨] الفرنساوي الضربة القاضية على العلم وأهله، بسبب اشتغال جميع الأهالي بمحاربة المغيرين على بلادهم والدفاع عن ديارهم حقبة من الزمان، وما أعقب تلك المقاومة الشديدة من مصادرة الحكومة الفاتحة لأملاك أغلب العائلات الكبيرة عقابًا لها عن دفاعها عن وطنها، ومهاجرة الكثير من علمائها إلى البلاد الإسلامية الأخرى، ووضع الحكومة يدها على جميع الأوقاف الخيريّة بلا استثناء، بما فيها المحبوسة على الجوامع والطلبة والمدرسين مقابل ترتيب مبلغ زهيد في ميزانيتها لما بقي من الجوامع بعد، التي حوّلت إلى كنائس، أو هدمت لإصلاح طريق، أو بناء قلعة، أو استعملت ثكنة للجند، أو غير ذلك، فأصبحت البلاد ولم يبق فيها من المدرسين بالجوامع إلا ما يعد على الأصابع، وقل الطالب والمطلوب، وهجرت ربوع العلم، وخربت دور الكتب، وصارت الديار مرتعًا للجهل والجهلاء، وكادت تدرس معالم اللغة العربية، كما تطرقت إلى اللغة العاميّة الكلمات الأجنبية، بل أصبحت اللغة الفرنسية لغة التخاطب في العواصم، مثل: وهران، والجزائر، وقسنطينة،وعنابة، وغيرها من السواحل والثغور..[٤٩].

وفي ظل هذه الأوضاع الثقافية المترديّة ولدت أجيال جزائرية وعاشت وتربت وتعلمت، عانت من وحشية المسخ وويلات القمع والقهر والتشويه، وعلى الرغم من كل هذا إلا أنها مارست نشاطاتها الحياتية الشاقّة، وحافظت على هويتها الحضاريّة، وفضلت العيش بشظف على الاستكانة لذل الاستعمال. لأنّ الحرّة - كما جاء في المثل العربي - تجوع ولا تأكل بثدييها. ■

الحواشي

١- لمزيد من التوسع ينظر: أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر:١/١٣-٤٢، وتاريخ الجزائر الثقافي.

٢- تاريخ الجزائر العام:٣/٥٣٥.

٣- لا نريد إغراق الحواشي بالتراجم، وبإمكان القارئ مراجعتها في معاجم المؤلفين والطبقات والسير.

٤- عبد الحميد بن باديس، رائد التعليم القومي في الجزائر:١٢٤ بتصرف.

٥- المصدر السابق: ١٢٥-١٢٦بتصرف.

٦- تاريخ الجزائر الثقافي:١/٢٧٣.

٧- المصدر السابق:١/٢٧٣، ٢٨٦.

٨- المصدر السابق:١/٢٧٣-٢٨٦.

٩- كتاب الجزائر: ٣٠٤.

١٠- ابن باديس رائد الاصلاح التربوي في الجزائر:١٢٦.

١١- المصدر السابق:١٢٩.

١٢- كتاب الجزائر: ٢٨٣-٣٠٤.

١٣- نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر المعاصرة:٢١٠، بتصرف.

١٤- ابن باديس رائد الاصلاح التربوي في الجزائر:١٢٧، تاريخ الجزائر العام :٣/٥٣٧-٥٣٨.

١٥- كتاب الجزائر :٢٨٤، ولمزيد من الاطلاع على تاريخ الحواضر العلمية الثلاث وأهميتها: (الأزهر. الزيتونة. القرويين)، ينظر: التعليم الإسلامي وحركة الإصلاح في جامع الزيتونة:٤٤-٤٥، الفكر والثقافة المعاصرة في شمال أفريقيا:١٣٨-١٣٩، الأزهر وأثره في النهضة الأدبيّة الحديثة:١٣.

١٦- الدراسات العربية في الجزائر في عهد الاحتلال:٧٦، ٧٧، ٧٨.

١٧- تاريخ الجزائر الثقافي:١/٢٧٣.

١٨- نصوص ووثائق:٢١٠.

١٩- التعليم القومي والشخصية الوطنية:٥٤ بتصرف.

٢٠- نصوص ووثائق: ٢٠٩ -٢١٠ بتصرف.

٢١- المصدر السابق:٢٠٧.

٢٢- المصدر السابق:٢٠٨.

٢٣- المصدر السابق:٢٠٨.

٢٤- تاريخ الجزائر العام:٣/٥٣٥.

٢٥- ذكر الاستاذ أحمد توفيق المدني تاريخًا مقاربًا لهذا التاريخ هو ١٨٤٨/٨/١٦ في كتاب الجزائر :٢٣٩.

٢٦- نصوص ووثائق:٢١٤.

٢٧- كتاب الجزائر :٢٤٧.

٢٨- التعليم القومي والشخصية الجزائرية:١٤٠.

٢٩- التعليم القومي:١٢٥، بتصرف.

٣٠- المصدر السابق:١٢٥ بتصرف.

٣١- ابن باديس: ١٣٩ بتصرف.

٣٢- ابن باديس : ١٤٥ بتصرف.

٣٣- التعليم القومي :٤٣ بتصرف.

٣٤- الحركة الوطنية:٢/٦٣ بتصرف.

٣٥- ابن باديس:١٥٤ بتصرف.

٣٦- التعليم والمدارس في الجزائر، جريدة اللواء عدد٦١٢، نقلاً عن كتاب ابن باديس:١٥٢.

٣٧- جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في تطور الحركة الوطنية الجزائرية:٤٢، بتصرف.

٣٨- ابن باديس: ١٤٦.

٣٩- الصحف العربية الجزائرية من ١٨٤٧ - ١٩٣٩: ١٣٢.

٤٠- تاريخ الجزائر العام:٣/٥٤٣.

٤١- تاريخ الجزائر العام :٣/٥٤٣.

٤٢- الجزائر في مؤلفات الرحالين الألمان:١٣.

٤٣- عروبة الجزائر عبر التاريخ: ٩٣. بتصرف.

٤٤- عروبة الجزائر عبر التاريخ:٩٣.

٤٥- التعليم القومي: ١٠٧-١٠٨، بتصرف.

٤٦- المرجع نفسه: ٩٤- ٩٦، ١١٥، ١١٩، ١٩٦، ٣١١-٣١٨.

٤٧- التعليم القومي: ٩٥.

٤٨- لا يقصد الأستاذ فريد وجد بك بمفهوم الفتح مرادفه الإسلامي، وهو أبعد من أن يعدّ الغزو الفرنسي فتحًا بدلالاته الإسلامية.

٤٩- التعليم والمدارس في الجزائر جريدة اللواء عدد٦١٢، نقلاً عن ابن باديس :٩٧-٩٨.

المصادر والمراجع

١- **أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر**، للدكتور أبو القاسم سعد الله، ط٢، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩١م.

٢- **تاريخ الجزائر الثقافي**، للدكتور أبو القاسم سعد الله، ط١، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ١٩٨٥م.

٣- **تاريخ الجزائر الثقافي**، للدكتور أبو القاسم سعد الله، ط١، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ٢٠٠١م.

٤- **التعليم القومي والشخصية الجزائرية**، لتركي رابح، ط٢، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ١٩٨١م.

٥- **التعليم والمدارس في الجزائر**، لمحمد فريد وجدي، جريدة اللواء، ع٦١٢، القاهرة، ١٣/١٠/١٩٠١م.

٦- **الجزائر في مؤلفات الرحالين الألمان**، لأبي العيد دودو، ط١، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ١٩٧٥م.

٧- **جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في تطور الحركة الوطنية الجزائرية**، لعبد الكريم أبو الصفصاف، ط١، دار البعث، قسنطينة، ١٤٠١هـ/١٩٨١م.

٨- **الدراسات العربية في الجزائر في عهد الاحتلال**، لإسماعيل العربي، ط١، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ١٩٨٣م.

٩- **الصحف العربية الجزائرية**، لمحمد ناصر، ط١، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ١٩٨٠م.

١٠- **عبد الحميد بن باديس رائد التعليم القومي في الجزائر**، للدكتور تركي رابح عمامرة، ط١، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ١٩٦٩م.

١١- **عروبة الجزائر عبر التاريخ**، للدكتور عثمان سعدي، ط١، الشركة الوطنية، الجزائر، ١٩٨١م.

١٢- **كتاب الجزائر**، لأحمد توفيق المدني،ط٢، دار البليدة للطباعة، البليدة- الجزائر، ١٩٦٣م.

١٣- **نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر المعاصرة**، للدكتور عبد الحميد زوزو، ط١، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ١٩٨٥م.